مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٥/٦/٥

إشـــادة بالســـويس

ان فتح قناة السويس هو عمـــل سياسي جريء حكيم قبل كل شيء وضعت فيه الثقة لكي يؤدي الى المساهمة في اقامة صرح السلام في منطقه مضطربة من العالم . وهو امر جدير حقا بـــان يكون كذلك . والمؤكد ان الذبة التي اعرب عنها كذلك سفير مصر في ايطاليا خلال زيارته لميناء جنوا في مبراير الماضي من ان وجود الثقة في السلام قد يؤثر على فتح قناة السويس كانت معقولة . وانا اضيف الى ذلك انه من المؤكا انه سيؤثر على استخدامها وتطويرهـا . ومن المعقول كذلك الايحـــاء الخاطئ القائل ان فتح قناة السويس ربما يكون بدوره حافزا على احلال السلام بفضل ما يثير ذلك من رضاء وارتياح بـــين الراى العام وتحت تاثير قوة المصالح في كل بقعة من بقاع العالم .

ونتمنى أن يكون الامر كذلك ونشهد في النهاية بشائر السلام في الشرق الادنى والاوسط : وبهذه الامنية بالذات ابدأ هذه الكلمة القصيرة التي يسعدني ان اشارك بها في العدد الخاص الذي تصدره جريدة الاهرام بمناسبة الاحتفال بحدث السويس العظيم . وفي هـــذا الصدد أود أن أوضح هنا اننى افضل الالتجاء الى أسلوب في التعريف يتمثل في عبارة « فتح جديد » لقناة السويس بدلا من التعريف المألوف القائل « اعادة فتح قناة السويس » . وليس ذلك حبا مني في التلاعب بالالفاظ وانمـــا لكي اعرب بطريقة ما في الاسلوب اللغوي كذلك عن اقتناعي بمغزى هذا الحدث واهميته الجديدة التي يمكن تصـــورها بالنسبة لمستقبل البحر الابيض المتوسط كلـــه .

لقد بذلت دائما جهودا كبيرة للاقناع بالعدول عن الفكرة التي تعتبر حـــدث قناة السويس الحالي وان كان عظيما ، نوعا من العلاج الخارق للبحر الابيض المتوسط ، ورفضت الراي القـــائل بأن الحدث في حد ذاته قد يغير من المشكلة الاساسية للبحر الابيض المتوسط والتي تتضمن بين طياتها المسألة الجوهريـــة للمواجهة مع موانىء أوروبا الشمالية . ولهذا أفضل التحدث عن فتح جـــديد للقناة بدلا من التحدث عن « اعادة فتحها » لانني مقتنع بأن الحدث لا ينتهي عنـــد مجرد اعادة فتح القناة بل سيكون في مقدوره اظهار معنى أشمل واهم الى حد يمكن معه الكشف عن قطب جاذب جديد للبحر الابيض المتوسط يستطيع بدوره اعادة توجيه مشكلة هذا البحر كلها — ولا بد أن يكون الامر كذلك — والقـــاء ضوء جديد على المســـألة الجوهرية الدائمة للمواجهة مع موانىء اوروبا الشمالية .

وبعبارة اخرى أن الفتح الجـــديد للقناة يكشف عن قطب جاذب جـــديد للبحر الابيض المتوسط (اما ما هـــو الشكل الذي سيتخذه هذا القطب ومـــا هو مضمونه وما هي المهام التي ستسند اليه : فانها المسألة التي تنتظر المبادرات المصرية ، وما من أحـــد يستطيع أن يتغاضى عن انتظارها كما لو كان الانتظار لا يعني الا طرفا واحدا فقط) . ويكشف هذا القطب بدوره عن مجال وموقـــع أو مركز للرؤية يمكن التطلع منه واكتشاف الصورة كلها للبحر الابيض المتوسط ، مثل ذلك كمثل الشخص الذي يجـــد نفسه فوق مدينة ما ويتعرف على زاوية جديدة في رؤية المنظر : فالمدينة هي بذاتها كما ترى من مواقع اخرى وفي الوقت نفسه ليست هي ، وكأنها تبـــدو الى حد ما مدينة جديدة . فما من شيء قد تغير كما أن كل شيء قد تغير .

هذا ويرتبط الاقتناع الاول الذى أبديته آنفا باقتناع آخر الا وهو ان البحر الابيض المتوسط يمكن بل يجب أن يكون له فى واقع العالم واوروبا حاضرا ومستقبلا ، دور خاص وهام يتعلق بمشروع وحدة اوروبية غيرمختلة التوازن وغير عسيرة المنال : وفى رايى أن أوروبا كلها لا بد ان تكون لها فى البحر الابيض المتوسط ركيزة من ركائزها الاساسية طالما انه لا ينتظرها مستقبل مظلم مهلك من التمزق والانحلال وانما مستقبل مستهدف السعى والعمل على بلوغ وحدة القارة مهما تكن الصعوبات التى تعترض سبيل تحقيقها. وتصور مستقبل اوروبى على هذا النحو قد يكون متعارضا ومتناقضا تماما بل ومعوقا للمخطط الاوربى العام مع وجود منطقة للبحر الابيض المتوسط فى حالة من التخلف أو الانهيار .

لقد اتيحت لى الفرصة للكتابة والتحدث مرات عديدة عن قناة السويس ، ولااريد هنا الخوض فى تفاصيل سوى الاصرار مرة اخرى على مسألة واحدة : فأهم شىء لا يتمثل فى الاستفاضة فى التنبؤات [وان كانت هامة] عن السلع والبضائع [وان كانت هامة جدا] التى ستجتاز قناة السويس وتصل الى البحر الابيض المتوسط — وليس من المهم فى الواقع أن تصل الى الادرياتيك أو الى بحر تيرنيه والى الشمال أو الى الجنوب — وانما يتمثل فى اتخاذ مواقف نشيطة ازاء حدث قناة السويس فى كل مكان: فى الادرياتيك أو فى بحر تيرنيه ، وبعبارة اخرى اتخاذ مواقف قادرة على تنشيط الى اقصى حد وعلى خير وجه الاثار المترتبة على الفتح الجديد لقناة السويس .

وانطلاقا من هذا الالهام تتحرك لجنة التنسيق لموانىء الشمال الغربى للبحر الابيض المتوسط وجمعية الموانىء الايطالية على السواء وانطلاقا من هذا الالهام كذلك تحظى بالتقدير المبادرة الناشئة عن زيارة سفير مصر لجنوا والرامية الى انشاء مركز للاعلام الاقتصادى والتجارى بين مصر والعالم العربى من جهة ، وجنوا ومينائها من جهة أخرى . وقد ظهرت فعلا جميع معالم هذه المبادرة . فالمركز المشار اليه ثلاثى الاطراف تشترك فيه السفارة المصرية والغرفة التجارية فى جنوا والاتحاد المحلى للميناء الذى سيقام فيه المركز على الاقل فى المرحلة الاولى ثم يبت فى هذه المسألة فيما بعد . اما المركز الاعلامى فانه يستهدف قبل كل شىء تهيئة مجال لجمع وتبادل المعلومات وتيسير اللقاءات بين جميع الذين يعنيهم الامر من الطرفين .

واعود الى الموضوع الرئيسى لاختتم الحديث بقولى ان قناة السويس فى حد ذاتها لن تكون هبة من السماء بالنسبة للكسالى وقصيرى النظر ، ولكنها ستكون بالنسبة للبحر الابيض المتوسط كله ما نريده لها جميعا ان تكون عليه وما نستطيع ان نفعله لها لكى تصبح كذلك على ان يقوم كل منا بنصيبه سواء كان كبيرا او قليلا أو ضئيلا جدا. ويبدو لى ان وجهة نظر كهذه ستعود بأكبر منفعة على الجميع سواء للاطراف المتلهفة على استقبال فتح جديد لقناة السويس وفى مقدمتها موانىء البحر الابيض المتوسط او بالنسبة لمصر صاحبة هذا الفتح الجديد .

((جوسبى دانينو))